Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العلمي العربي بدمشق. ولقد أتيح لي أن أسترق النظر للشاعر مرتين: الأولى في بيت قريب من بيت جدي في قرية البودي أثناء جولة انتخابية عام 1954 وكنت في التاسعة، والثانية استقباله في موكب عودته من المنفى أيام الانفصال. وكان جدي قد جعل الطفل الذي كنت يحفظ شعر البدوي، وبخاصة قصيدته: سقوط باريس، فتنفغم بهذا الشعر روحي. وعلى الرغم من تعثري الدائم بالحفظ، ظللت أمتلئ بقصائد: الكعبة الزهراء -ابتهالات- البلبل الغريب- حنين الغريب- خالقة- من وحي الهزيمة، وبخاصة خمسينيته التي يقول فيها:

أتسألين عن الخمسين ما فعلت؟ بيلى الشباب ولا تبلى سجاياهُ

يبقى الشباب نديّاً في خمائله فلم يشبْ قلبه من شاب فوداهُ

وهكذا إذن لم يكن في نشأتي الأولى سوى إجلال الشاعر والتدله بشعره. لكنني حينما كتبت روايتي (هزائم مبكرة) في منتصف الثمانينات، وعدت فيها إلى شطر من حياتي في الخمسينات ومطلع الستينات، محاولاً كتابة رواية لا سيرة، جاء البدوي في صورة ذلك الشاعر الزعيم الذي لم يذكر اسمه في الرواية، ويبدو والدخليل (راوي الرواية وبطلها) من تابعي الشاعر، فيلجأ إليه ليدبر للابن وظيفة، فيما خليل يرفض أن يقبل يد الزعيم، ولا يرى فيه إلا واحداً من ظلال الماضي التي ينشد لها تحطيماً في هبّةٍ بديلة تختلط فيها الناصرية بالبعثية بسواهما، وما كنت لأستفيض في ذلك لولا ما أحسب ما فيه من إشارات إلى تعقيد تكون الشخصية الروائية في تكوين الكاتب وفي تكوين الرواية، وإلى تعقيد ما بين الرواية والسيرة، وهو التعقيد الذي لا يخلو من التناقض ومن الطرافة أحياناً، وتؤسسه ثقافة واختيارات الكاتب وقراءته للماضي. ومن هنا يهمني أن أصل إلى أن مثل هذه القراءة التي تتوخى تأسيس المستقبل في لحظتي الماضي والحاضر، لا ينبغي أن تكون منبهرة ولا جاحدة، كما لا ينبغي أن تنيخ تحت ضغط الأيديولوجيا، سواء على النحو الذي يتباكى اليوم على مجد ما كان في سورية منذ نصف قرن مثلاً -وحيث اقتطعت اسكندرون وفلسطين- أم على النحو الذي ينكر على شاعر مثل بدوي الجبل شاعريته، أسوةً بنكران بعض من ممارساته السياسية أو كثير من انتماءاته.

***